الحاكِم واستمراريّة السلطة في ظلّ تسارُع الزَّمن
(الربيع العربي أنموذجاً)

علي محمود شكر

مقدّمة

أُطلقت على مراحل التطوّر التي عرفتها البشرية عبارة «الثورة» لتحديد خصائص تطوّر كلّ حقبة. لكن مع أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، شهد المجتمع الإنساني تسارعاً هائلاً كانت له انعكاسات كبيرة على مختلف المستويات. فقد عرفت الإنسانية التطوّر بسمته التدريجيّة وفقاً لتقدّم العلوم والاكتشافات. فبعد الثورة الصناعية الأولى، التي تمثّلت باكتشاف القوّة البخارية، جاءت الثورة الصناعية الثانية التي شهدت نقلة تكنولوجيّة كبيرة تمثّلت بالانتقال نحو استخدامات مُثلى للنفط والطّاقة النووية والارتقاء بالتكنولوجيا الحديثة إلى أن وصلنا إلى الثورة الثالثة، ثورة المعلومات والاتّصالات[1].

فالثورة الأولى، أي الثورة الزراعية، كانت بطيئة نسبيّاً مقارنةً بالثورة التي تلتها، أي الثورة الصناعيّة. ثمّ جاءت الثورة التكنولوجيّة لتكون الأسرع. ولئن تطلّبت الثورتان الأولى والثانية

(1) أنمار لطيف جاسم، **العالميّة الجديدة: المرجعيّة، الأهداف والوسائل** (بيروت: المكتبة الثقافية، 2002)، ص 22-23.

قروناً من الزمن لتتبلور ملامحهما ولتتحقّق خصائصهما، فإنّ انطلاقة الثورة التكنولوجيّة وتسارعها احتاجت عقوداً ليس إلّا.

لقد كان ظهور وسائل نقل المعلومات وتطوّرها علامةً من العلامات البارزة في التاريخ البشري. ولئن ظهرت لغة الكتابة قبل 5–6 آلاف عام، فإنّ الطباعة اختُرعت قبل 500 عام، والتلغراف قبل أكثر من 300 عام، واللّاسلكي قبل أكثر من 90 عاماً، والتلفزيون قبل أربعة عقود، والأقمار الصناعية قبل أكثر من ربع قرن[2]. ونحن في ظلّ هذه الثورة نعيش في زمن التحدّي الكبير قياساً إلى سرعة الأحداث والتطوّرات التقنيّة المذهلة، والتشكّل الاجتماعي الجديد المفروض فرضاً، بشكل أو بآخر، على مختلف البُنى الاجتماعية المعهودة في عالَمنا الإنساني. في حين أنّ التقدّم البشري لم يشهد قفزة علميّة تقنيّة كالتي شهدها في العقد الأخير من القرن المنصرم، لجهة المدى الواسع لهذه القفزة وانفتاحها الشمولي. فالفاصل الزمني بين إنسانٍ ما في العالَم وإنسان آخر في أقصى نقطة من هذا العالَم لم يَعُد يتجاوز الثواني أو ربما طرفة عَين؛ فالمسافات أصبحت تُقاس بثوانٍ معدودة زمنيّاً[3].

لقد بتنا في عصرنا الحالي أمام مجتمعات تتغيّر باعتمادها الهائل على المعلومات في مختلف جوانب الحياة إلى درجة أضحت فيها تسمية «مجتمع المعلومات» معياراً يُستخدَم للتعبير عن مدى تقدّم مجتمعٍ ما وتطوّره[4].

انطلاقاً من هنا نجد أنّ كلّ مرحلة/ ثورة[5]، تميّزت بانعكاساتها على مجمل نواحي الحياة، ومنها التنظيم السياسي، وبالتالي فإنّ التغيير في الأنظمة وأعمارها، الذي كان

(2) عبد الحسين شعبان، «العولمة والإعلام العربي في الألفيّة الثالثة»، صحيفة **النهار** (21/ 10/ 1999).

(3) علي محمّد رحومة، **الإنترنت والمنظومة التكنو – اجتماعيّة، بحث تحليلي في الآلية التقنيّة للإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعيّة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2005)، ص 15 ، 39.

(4) مجموعة باحثين، من مقدّمة **نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات للتنمية في غربي آسيا** (الإسكوا: 2011)، ص 3.

(5) يستخدم تعبير الثورة في الوقت الحاضر للدلالة على تحوّل عميق في مجالٍ من المجالات، فيُقال الثورة الصناعية والثورة العلمية وثورة الاتّصالات... إلخ. للمزيد راجع حسين ظاهر، **معجم المصطلحات السياسيّة والدوليّة** (بيروت: المؤسّسة الجامعية للنشر والتوزيع، مجد،2011) ص110.

يتطلّب قروناً عدّة إبّان الثورة الأولى، صار يتطلّب عقوداً خلال الثورة الثانية، فيما قد لا يتجاوز السنوات اليوم. لقد قلّصت التطوّرات التكنولوجيّة الحديثة في مجال النقل والتواصل الزمان والمكان على مستوى الكرة الأرضية كلّها[6].

من هنا تبدو أهمّية البحث في العلاقة بين تسارع الزمن وأثره في تغيير النّظام السياسي والحاكِم. وتأتي تجربة الربيع العربي كنموذج واقعي يبيّن انعكاس تسارع الزمن على مسألة استمراريّة السلطة. وهو بالتالي موضوع جدير بالبحث والدراسة. فهذه التجربة تبيّن أنّ الحاكِم والسلطة على السواء لم يعودا بمنأى عن التغيير ربطاً بتسارع الزمن والوسائل التي أنتجها، وتأثير هذه الوسائل في عمليّة التغيير.

ويطرح هذا الموضوع الكثير من الإشكاليّات، إذ ما هي طبيعة تأثير تسارع الزمن على مسألة ثبات السلطة والحاكِم واستمراريّتهما؟ وإلى أيّ حدّ تأثّر «الربيع العربي» بتسارع الزمن؟ وما هو مستقبل الأنظمة انطلاقاً من هذه التجربة؟

للإجابة عن التساؤلات التي تثيرها إشكاليات الموضوع، سنعمد إلى استخدام المنهج التاريخي والمنهج التحليلي، وسنقوم بتقسيم الموضوع إلى نقاط هي التالية: أولاً: النُّظم السياسيّة العربيّة؛ ثانياً: تسارع الزمن ومرحلة العولمة وأدواتها التكنولوجية؛ ثالثاً: العلاقة بينهما ونموذج الربيع العربي (إنهاء ثبات بعض الأنظمة والحكّام العرب).

أولاً: النُّظم السياسيّة العربيّة

شكّلت البلاد العربيّة منذ بداية القرن التاسع عشر هدفاً للسياسة الاستعمارية الأوروبية، ولا سيّما بعد أن ظهرت بوادر تفكّك الإمبراطورية العثمانية، وكان للتنافس الأوروبي أثره في تكوين الكيانات السياسية العربيّة خلال النصف الأوّل من القرن العشرين[7]. فقد نشأت النُّظم السياسيّة العربيّة الحديثة، وبالتحديد، مع اتّفاقيات سايكس- بيكو عام 1916، أي خلال بدايات القرن العشرين، أي في الفترة التي شهدت تسارعاً في حركة

(6) سعيد الصديقي، **الدولة في عالَم متغيّر: الدولة الوطنية والتحدّيات العالميّة الجديدة** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2008)، ص 35.

(7) أحمد سرحال، **النظم السياسيّة والدستوريّة في لبنان والدول العربيّة** (بيروت: دار الفكر العربي، 1990).

التاريخ واتّساعاً أحدث تقارباً هائلاً بين الشعوب، زاد من وطأته التطوّر الكبير في حقل تكنولوجيا الاتّصالات وتطوّر وسائل الإعلام التي وضعت العالَم كلّه بمتناول الفرد[8].

ومع تقسيم المنطقة العربيّة بعد الحرب العالمية الأولى، نشأت دولٌ مفكَّكة قسَّمها الاستعمار بين النفوذَين البريطاني والفرنسي بالدرجة الأولى، إلى جانب دُول أوروبية أخرى حكمت بعض المناطق العربيّة؛ ثمّ شهدت مرحلة الاستقلالات في أربعينيّات القرن المنصرم ولادة أنظمة ملكية وأخرى دستورية، تنوّعت من ضمن كلّ مجموعة، وشهدت البلدان العربيّة، بمعظمها، انقلابات عسكرية سيطرت على السلطة، وصارت الشعوب العربيّة محكومة بقوى أمنية من الجيش ولّدت أحزاباً سياسية لم تكن في الواقع سوى مظاهر مدنية لحُكم عسكري لإعطاء النظام السياسي شكلاً غير عسكري. خلال تلك الفترة شهد العديد من البلدان العربيّة غير الملكية انقلابات متتالية، إلى أن استقرّ الوضع في مجمل تلك الدول، وعرفت مرحلةً من الثبات على صعيد النّظام والحاكِم على حدّ سواء. فجاءت مرحلة الثبات في ظلّ فترة الحرب الباردة، التي كان النظام العالمي خلالها محكوماً بالتوازنات الأوروبية –الأميركيّة.

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين صارت غالبية الأنظمة العربيّة مرتبطة بشخص الحاكِم، ومختزَلة به، سواء وُجدت المؤسّسات الدستورية أم غابت. فالحاكِم الفعليّ كان الرئيس أو الملك، فيما لم تكن المؤسّسات سوى أدوات تخضع لإرادته. وغالباً ما كان التغيير يحدث عند وفاة الحاكِم، من دون أن تعرف الأنظمة أيّ تحوّل.

مرحلة ما بعد نظام الثنائيّة القطبيّة

بدأت ظاهرة العولمة بالانتشار خلال العقد الأخير من القرن العشرين، وتميّزت بالسرعة والشمول؛ لكنْ، على الرّغم من ذلك، لم تؤثّر على مسألة ثبات الأنظمة والحكّام العرب. واستمرّت الأنظمة العربيّة على آليات العمل نفسها، وهذه الآليات تجسّدت بالقمع وباستخدام أجهزة الأمن لحفْظ النظام وضبط المجتمع، والحؤول دون محاولات التغيير. كما عملت الأنظمة على إفراغ المجتمع من قواه الحيّة أو على منع

(8) علي صبح، **العلاقات الدوليّة :الصراع الدّولي في نصف قرن 1945– 1995** (بيروت: دار المنهل اللبناني، 2006)، ط 2، ص 6.

وجود مثل هذه القوى. فلم يكن هناك من حياةٍ نقابيّة حقيقيّة ومؤثّرة عموماً، ولا أحزاب سياسيّة إلّا ما ارتبط منها بالنّظام، ولا مجتمع مدنياً حقيقيّاً، بل جمعيّات رعائيّة ترتبط بالنظام ومكوّناته ليس إلّا.

كانت الديمقراطية شعاراً، والحريات أمراً غير مجرّب لدى الكثير من الشعوب العربيّة، حتّى بات المواطن العربي يشعر بأنّ هذا الواقع لا يمكن أن يتغيّر تحت أيّ ظرف.

لم ينسحب التغيير الذي بدأ مع اندفاعة العولمة، أوائل تسعينيّات القرن العشرين، على الدول العربيّة. أمّا الحدث الوحيد الذي شهدته هذه المنطقة، والذي شكّل حدّاً فاصلاً بين مرحلة الثنائية القطبية والأحادية التي تلتها، فكانت حرب الخليج الثانية في العام 1991، جاءت الحرب في ظلّ إعلان واشنطن عن قيام نظام عالمي جديد، من عناوينه الرئيسية حفظ حقوق الإنسان، ونشر نموذج الديمقراطية على مستوى العالَم. كما كرّست الحرب الدَّور القيادي الأميركي، وبرهنت عن غياب أيّ قوّة فاعلة تحدّ من اندفاعات الولايات المتّحدة في المجال الدولي. ومع الدخول الأميركي المباشر عام 1991 كان يفترض أن تتحوّل هذه البلدان إلى نموذج تداول السلطة وتغيير الحاكِم وتطوير النظام السياسي، لكنّ ذلك كلّه لم يحدث. ولم يشهد نظام منطقة الشرق الأوسط ما شهدته أوروبا من تغيير بل ظلّ مُحافظاً على الثبات[9].

خلال تلك المرحلة، أخذت وتيرة الزمن تزداد تسارعاً في ظلّ العولمة التي انفلشت منذ منتصف العقد الأخير للقرن الماضي، وامتدّت تأثيراتها إلى غالبيّة الدول. لكن على الرّغم من هذا التّسارع، حافظت البلدان العربيّة على وضعيتها، ولم تتأثّر كثيراً بالوجود الأميركي المباشر وقيمه، وبازدياد تسارع الزمن وتأثيراته. وخلال تلك المرحلة لم تتّخذ الأنظمة العربيّة والحكّام العرب خطوات تواكب المتغيّرات الحاصلة، إلى أن جاء «الربيع العربي» في العام 2010، أي بعد عقدَين على تغيّر النّظام العالَمي.

يمكن القول إنّ هذا التغيير الذي حصل جاء بعد أن وصلت وتيرة تسارع الزمن وكسر الحواجز إلى عامّة الناس وليس إلى المؤسّسات والدول فقط، وبعد أن صار هذا التسارع

(9) David.E Long and Christan Koch, *Gulf Security in the Twenty-First Centur* (Abu Dhabi: The Emirate Center For Strategic Studies and Reaserch,1997) p. 105.

يسير بشكل متلاحق مُطوِّراً سُبل التواصل على المستويات كافّة، وهو ما هيّأ الأرضية المطلوبة لإطلاق التغيير. صحيح أنّ التغيير لم يحدث على مستوى الدول العربيّة بأسرها، لكنّ حدوثه على مستوى دول أساسية يعني أنّ تأثير تسارع الزمن على استقرار نظام الحُكم وعلى بقاء الحاكِم صار أمراً مُتاحاً؛ فكيف أثّر هذا التسارع إذاً، وما هي أدواته التي أحدثت التغيير؟

ثانياً: تَسارع الزمن ومرحلة العَولمة وأدواتها التكنولوجيّة

يجمع الباحثون في الدراسات المستقبلية على أنّ التسارع يمثّل ظاهرة مهمّة، بمعنى أنّ الفترة الفاصلة بين تغيير وآخر كثيراً ما تتقلص، في حين يمثّل البعد الزمني أحد المحاور المركزية في الدراسة المستقبلية[10]. وقد أثارت الثورة اللافتة في تكنولوجيا المعلومات، وما شهدناه من تبنٍّ لوسائل جديدة في الاتّصال، تكهّنات كثيرة حول التغيير والتحوّل السياسي وعمليّات التمثيل والتداول المؤسّساتي بسبب التكنولوجيا الجديدة[11]. فالمرحلة الأولى شهدت نوعاً من التقدّم في السرعة لكنْ من دون أن تتحقَّق قفزات كبرى، وأبرز ما أنتجته تلك المرحلة تطوّر وسائل الإعلام والاتّصال على ثلاثة مستويات: المستوى الأوّل ارتبط بالهاتف وتطوّره من خلال اختراع الهاتف المحمول، والثاني ارتبط بالتلفاز وتحوّله إلى البثّ الفضائي ونقل الحدث في لحظة وقوعه مباشرة، والثالث تمثّل في اختراع الكمبيوتر وشبكته، وفي أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أضحت أداة أساسية في الحياة اليومية وشاملة لأغلب القطاعات. وقد ساعد التطوّر التكنولوجي وانتشار ظاهرة الإنترنت والأجهزة النقّالة وتدني كلفتها في ارتفاع أعداد مستخدمي الإنترنت، بحيث وصلت نسبة النفاذ إليه في المنطقة العربيّة إلى 40 في المائة عام 2014[12]. وكان لهذه الوسائل الثلاث الأثر الأساسي في تغيير الحاكِم والنّظام السياسي في سياق الربيع العربي.

(10) وليد عبد الحي، **مناهج الدراسات المستقبليّة وتطبيقاتها في العالَم العربي** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة، 2007)، ص 12، 13 ، 16.

(11) بروس بمبر، **الاتّصالات والمجتمع والسياسة الديمقراطيّة الأميركيّة وثورة المعلومات التكنولوجيّة في جذور القوى السياسيّة**، تعريب هالة النابلسي (بيروت: دار الحوار الثقافي، 2006)، ص 15–16.

(12) مجموعة باحثين، من مقدّمة **الأمان الفضائي السيبراني ومكافحة الجرائم السيبرانيّة في المنطقة العربيّة: توصيات سياساتيّة** (الإسكوا: 2015).

1- الهاتف الخليوي

إذا كانت الفضائيات قد شكّلت إحدى أدوات تسارع الزمن إلى جانب الإنترنت، فإنّ الهاتف يتميّز بأنّه أقدم هذه الوسائل التي تسهم اليوم في تغيير قواعد ثبات الحاكِم ونظام الحُكم.

يشبه تطوّر دَور الهاتف دَور الفضائيات لأنّه لم يكن أمراً طارئاً. فمثلما تحوّل البثّ التلفزيوني إلى فضائي، تحوّل الهاتف من ثابت إلى متحرّك عبر الجهاز الخليوي، وصار الهاتف ملازِماً للمرء أينما كان، ولم يعد هذا الأخير مرتبطاً بثبات المكان ليكون بجانب الهاتف، بل صار الهاتف مرافقاً له أينما حلّ.

أدّت تطوّرات الهاتف الخليوي إلى حدّ بات بإمكان الفرد الاستفادة من شبكة الإنترنت والقنوات الفضائية. وهنا تتّضح أهمّية هذا الجهاز ودوره على مستوى تسهيل الوصول إلى المعلومة والاتّصال المباشر بين الإنسان والعالَم في ثوانٍ، من دون الحاجة إلى التنقّل. كما أحدثت تكنولوجيا الهواتف النقّالة ثورة في عالم الاتّصالات الدولية، فأصبحت اليوم، بلا منازع، أسرع القطاعات نموّاً في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات[13]. وفي العام 2010 ، بلغت نسبة المشتركين في خدمات الهاتف النقّال في منطقة الإسكوا 86 في المائة تقريباً من مجموع عدد السكّان[14].

2 – الفضائيّات

تلعب الفضائيات دوراً بارزاً في تكوين الرأي العامّ، وهي تتميّز عن الإنترنت بأنّها تصل إلى الجميع من دون مجهود، ولا تتطلّب امتلاك أيّ خبرة أو حاجة للتدرّب عليها، فهي تُقدّم المعلومة من دون عناء، ولا تخلو عموماً من أيّ بيت، في حين أنّ الإنترنت ليس متوفّراً في كلّ البيوت، فضلاً عن أنّه غير متاح لجميع الأعمار؛ فثمّة أمّية على صعيد الإنترنت ولكن ليس هناك من أمّيةٍ على صعيد التلفاز أو الفضائيّات.

في السابق، وقبل اختراع الفضائيّات، كان بإمكان السلطات إحكام قبضتها على

(13) مجموعة باحثين. **حوكمة الإنترنت، تحدّيات وفرص البلدان الأعضاء في الإسكوا** (منشورات الإسكوا: 2009)، ص5.

(14) مجموعة باحثين. **الملامح الإقليمية لمجتمع المعلومات في غربي آسيا** (الإسكوا: 2011)، ص17.

وسائل الإعلام وتوجيهها وفق عقيدتها، وتلقين الشعب ما تريده السلطة، لكونها – أي تلك السلطات – هي التي تتحكّم بالبثّ الإعلامي على مستوى الإذاعة والتلفاز، كما تتحكّم بالصُّحف، وكان بإمكانها منع دخول الصُّحف الأجنبيّة. وفي المحصّلة، كانت وسائل الإعلام جميعها تخضع لرقابة النّظام وسيطرته وتوجيهاته. ثمّ تمثّل التحوّل الأساسي والمفصلي في اختراع البثّ الفضائي، الذي كَسر القيود الرسميّة، وصار يصل إلى كلّ أنحاء المعمورة من خلال وسائل حديثة تنقل عبر التلفاز.

حقّقت «الثورة التلفزية» خلال العقود الماضية ثورة غير مسبوقة في ميدان إنتاج الصورة وتوزيعها وتعميمها، وذلك باستخدام تقنية الأقمار الصناعية، بعدما كان ذلك حكراً على الأغراض العسكرية. فالثورة التكنولوجية التي أدّت إلى ولادة الساتلايت، وبالتالي وصول الخبر عبر ثوانٍ قليلة بفعل النقل الحيّ، جعلت من إطلاق الفضائيات لحظة مُربكة واجهها العالَم الثالث. ويرى عبد الإله بلقزيز أنّنا في ظلّ ثورة غير مسبوقة في ميدان إنتاج الصورة وتوزيعها ودرجة استهلاكها عالميّاً، وهي أتت في إطار النجاح الهائل في ميدان توظيف نتائج تكنولوجيا الاتّصال عبر الوسائط الفضائية، وقد يكون من أهمّ النتائج على الإطلاق أنّها كسرت الاحتكار الإعلامي الرسمي، وأطاحت بأوحديته، ونالت من قدرته كما من وظائفه التقليديّة في مضمار تحقيق الهيمنة الإيديولوجيّة لتَضع في حوزة المتلقّي إمكانيّات مذهلة للاتّصال بالعالَم الخارجي واستقبال المعلومات المتدفّقة من غيّر قيود، وتكوين رأي مستقلّ عن الخطاب الرسمي في الشؤون العامّة[15]. لكن، على الرّغم من أهمّية هذا التحوّل وإخراج هذه الوسيلة من احتكار النظام السياسي، وتسويف الحاكِم وفرضه نمطيّاً على الشعب، فإنّ الفضائيات بدورها ليست خارج الأُطر الاحتكارية وأنظمة التوجّهات الإيديولوجية. لكنّ الجديد هو مسألة حرّية الاختيار بين توجّهات متنوّعة.

ومنذ تلك الفترة، صارت الفضائيّات تتقدّم بشكل كبير، على صعيد الدَّور وعلى صعيد الانتشار، إلى أن وصل عددها إلى الآلاف في الوقت الراهن، بحيث لم يَعُد الإنسان في المجتمع الحالي قادراً على الإفلات كثيراً من عالَم الصورة[16].

(15) عبد الإله بلقزيز، **العرب والإعلام الفضائي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2004)، ص 7.
(16) عبد الرحمن العزي، **دراسة في نظرية الاتّصال (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة**، 2003)، ص 48.

3- الإنترنت

أصبحت شبكة الإنترنت وتكنولوجيّاتها ومواردها أهمّ وسائل نشر المعرفة، وتبادل الخبرات، وتعزيز التفاعل الاجتماعي، ومدّ جسور التواصل بين المستخدِمين في مختلف أنحاء العالم[17]. في العام 1969 بدأ الإنترنت كمشروع بحث تشرف عليه وكالة (Advanced Research Project Agency-ARPA) في وزارة الدفاع في الولايات المتّحدة الأميركية، بالتعاون مع بعض المتعاقدين والجامعات. وكان الهدف منها دراسة إمكانية تطوير شبكة اتّصالات يمكنها النجاة من هجوم نووي عبر تأمين طرق عدّة لنقل المعلومات، ثمّ انتقلت بسرعة إلى وسيلة اتّصال واستُخدمت في خدمات البريد الإلكتروني، وازداد حجم الشبكة تدريجياً. وفي عام 1979، أخذ عدد الجامعات الموصولة بالإنترنت يزداد تدريجياً، وفي عام 1983 تمّ تطوير نظام تخاطب، وبدأت جميع الشبكات المنفصلة باستخدامه، فشكّلت شبكة كبيرة وظهر الإنترنت. وفرضت تكنولوجيا المعلومات نفسها في عقد التسعينيّات على مختلف مجالات الحياة، وبتنا نشعر بأنّنا نتّجه بسرعة كبيرة إلى عصر المعلومات[18].

هذه المساحة المُتاحة كسرت حاجز الوقت على صعيد التواصل والمعرفة، وسمحت بإنجاز أمورٍ بدقائق، كان يحتاج إنجازها في السابق إلى سنوات وأشهر. وكان لمحرّك غوغل أكبر الأثر في فتح أفق المعلومات، وهو أُطلق عام 1998، وفي غضون عامَين، أُطلق بعشر لغات، وصار محرّك البحث الأساسي لدى «ياهو». وفي عام 2000 صار محرّك البحث الأكبر في العالم[19].

في العام 2005 تأسّس يوتيوب، وحقّق انتشاراً سريعاً وواسعاً، فاشترته شركة غوغل في عام 2006؛ وهو اليوم ثالث موقع إلكتروني من حيث الأهمّية والانتشار في العالَم، والأوّل في مجاله[20]. إلى جانب هذه التطبيقات، تُنشَر اليوم قنوات تواصل على رأسها

(17) مجموعة باحثين، مقدّمة **نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات للتنمية في غرب آسيا**، م. س. ن.

(18) نضال أبو زكي، «**الثورة المعلوماتية وتأثيرها في الاقتصاديّات العربيّة في القرن المقبل**»، صحيفة **الحياة** (8/ 5/ 1999).

(19) خبر نُشر في صحيفة **السفير** (27/ 12/ 2008).

(20) سحر بعاصيري، «نوع جديد من الصحافة اسمه المدوّنات»، صحيفة **النهار** (10/ 1/ 2009).

فايسبوك وتويتر وهاشتاغ والمدوّنات ... ونظراً لمدى انتشار هذه الوسائط يمكننا القول على سبيل المثال إنّه لو كان الفايسبوك بلداً، لكان ثالث بلدٍ مأهولٍ في العالَم. فقد فاق تعداد مستخدمي الشبكة الاجتماعية النشيطين شهرياً المليار في العام 2012 [21]. ويعتبر عبد الحسين شعبان الحقّ في المعرفة وحرّية الوصول إلى المعلومات ونشرها وإذاعتها بكلّ الوسائل الممكنة أهمّ مرتكزات الدولة العصرية، ولا سيّما الديمقراطية؛ ومن هنا سنلاحظ في القسم التالي من هذا البحث كيف أثّر تسارع الوصول إلى المعرفة في دفْع النُّظم الرتيبة في بعض الدول العربيّة نحو الانهيار. فالإنترنت اليوم يجتاح كلّ شيء، وما بدأ في الأصل مجرّد مشروعاً تُشرف عليه وزارة الدفاع الأميركي بالتعاون مع متعاقدين من بعض الجامعات، لتطوير شبكة اتّصالات، صار وسيلة الاتّصال التي غيّرت وجه العالَم ومكَّن من معالجة المعلومات بمختلف أشكالها بسرعة فائقة وبطرقٍ متعدّدة. وكان لهذه الشبكة دَور أساسي في قيام الربيع العربي إلى جانب غيرها من الوسائل المرتبطة بتسارع الزمن وأثره على النظام السياسي ووضعية الحاكِم كما سيتبيّن لاحقاً.

ثالثاً: في إنهاء ثبات بعض الأنظمة والحكّام العرب

إنّ مرحلة «الربيع العربي»، كمحطّة تغيير أساسيّة، تمثّل تجربة معبِّرة عن مستجدّات تطوّر الزمن، وتأثير تسارعه على مسألة ثبات النظام السياسي والحاكِم على السواء. لقد عبَّر سقوط الأنظمة الأوتوقراطيّة التي دامت لعقود، والذي بدأ في تونس، ثمّ في مصر عام2011؛ ومعركة إسقاط النّظام والقوى الدّاعمة له في ليبيا التي حكمها معمّر القذافي لمدّة 42 سنة، وعدم الاستقرار في سوريا، والسعي القائم في البحرين نحو التغيير الديمقراطي.. لقد عبَّر ذلك كلّه عن التغيير الكبير في الواقع السياسي العربي الذي دام لعقود[22]. وقد تمكّنت وسائل الاتّصال المذكورة آنفاً من فتْح قنوات التواصل والترابط بين الثورات العربيّة.

(21) برتران بادي ودومينيك فيدال (إشراف)، **أوضاع العالم 2014، جبابرة الأمس والغد** (بيروت: مؤسّسة الفكر العربي، 2014) ، ص100.

(22) World Development book case study: the role of social networking in the Arab Spring, https://newint.org/books/reference/world-development/case-studies/social-networking-in-the-arab-spring/

1- دور وسائل الاتّصال في قيام الحراك

رأى الصحافي اللبناني طلال سلمان أنّ الشعوب العربيّة دخلت بالتتابع إلى رحاب ثورة متعجّلة للخلاص من أنظمة الحُكم الدكتاتورية، التي جاءت بمعظمها بانقلابات عسكرية أو مصادفات من خارج المتوقَّع؛ وقد رأى أهل النظام العربي، بمعظمهم، في الشعوب، مجرّد رعايا لا شأن لهم بقرار الحُكم. حتّى «الانتخابات»، بل الاستفتاءات المنظَّمة بدقّة، لم تتجاوز الشكل مطلقاً، وكانت نمطيّة تماماً، تُنقَل من بلدٍ إلى آخر من دون تغيير، فتُعطي النتائج ذاتها مجدّداً، مفوِّضةً الطغيان بأن يُقرّر لها حياتها، متبرِّعةً بأن تُسبغ عليه الشرعية عبر شكلٍ ديمقراطيّ يتنافى مع طبيعته الدكتاتورية. هل من الضروري التذكير بأنّ نسبة مشاركة الرعايا في تلك الاستفتاءات لم تتجاوز العشرين في المائة[23]! لذلك عندما جاء الربيع العربي شهدنا سقوط الأنظمة في كلٍّ من تونس ومصر وليبيا واليمن، وهذا يعني غياب الشرعية عن تلك الأنظمة وحكّامها. ونشير هنا إلى أنّ عدم سقوط باقي الحكّام والأنظمة لا يعني شرعيّتها.

أحد أبرز العوامل الأساسية الدافعة للتغيير تمثّل في تسارع دَور وسائل الاتّصال، بوصفها إحدى أدوات تسارع الزمن التي أحدثت التغيير في ظلّ استمرار العوامل الأخرى، وعدم ورود أيّ عنصر جديد عليها. فالتغيير الذي طرأ على دَور وسائل الإعلام في بلادنا كان أسرع بكثير ممّا هو في البلاد التي اخترعت هذه الوسائل[24]. ويبيِّن الدَّور الذي لعبته هذه الوسائل أنّ النظرة التي ترسّخت لفترة من الزمن، والتي اعتبرت أنّ جيل الشباب العربي في حالة ركود، وأنّه غير مندفع نحو التغيير، هي نظرة غير دقيقة. غير أنّ هذا الجيل، الذي استحوذت عليه اهتمامات التقنيات الحديثة، شكَّل دعامة المرحلة الثورية العربيّة الراهنة بعد أن انعتق من عبودية الإعلام التقليدي، الذي فشل في ترويضه وانحرف عنه باتّجاه الإعلام الحديث أو وسائل التواصل الحديثة من شبكات اجتماعية ومدوّنات. وقد طوّرت الانتفاضات العربيّة أساليب إبداعية جديدة عبر هذه الوسائط الحديثة تتجاوب مع متطلّبات التأقلم مع الأحداث. ومن المعلوم أنّ قنوات إيصال

(23) طلال سلمان، «انتفاضات شعبية ولا برامج: الطغيان يعيد الاستعمار»، جريدة **السفير** (6/ 4/ 2011).

(24) جلال أمين، «أشباه الأخبار»، صحيفة **الشروق** المصريّة (27/ 7/ 2012).

المعلومة والمعرفة لم تَعُد حكراً على السلطات الرسمية، وأنّ هذه السلطات لم تَعُد متحكّمة بالقيَم وقادرة على فرض ما تريده منها. فمع الفضائيات والهاتف الخليوي والإنترنت، خرج الفرد من عزلته المفروضة طوعاً أو قسراً، ولم يعد الحكّام قادرين على التحكّم بمعارضته، ومع الوقت أصبحت هذه الوسائل بتفريعاتها منتشرة على مستوى الأجيال العربيّة المختلفة، من شباب وكهول ومسنيّن. فمَن لا خبرة لديه بالإنترنت أو ليس لديه هاتف خلوي، تصله الفضائيات إلى حجرته، بحيث بات من الصعب منْع المعلومة عنه أو توجيه خياراته، الأمر الذي ولّد صحافة المواطن، التي بات الفرد معها ناقلاً للمعلومة ومُسهماً فيها. فقد لعب الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر ويوتيوب دوراً كبيراً في الثورتَين التونسية والمصرية.

في ظلّ هذا الواقع انطلقت الدعوات للاحتجاج في المنطقة العربيّة من موقعَيْ فيسبوك وتويتر أساساً كما تدلّ على ذلك أرقام كثيرة[25]. وشكّلت التكنولوجيا الحديثة تحدّياً للآليات السلطوية المَعنيَّة بالرصد والمراقبة، ووفّرت ملاذاً آمناً لحرّية التعبير والتجمّع، وذلك على الرّغم من مخاطر التعرّض للاعتقال والسجن، ولا سيّما من قِبل الشباب دون سنّ الخامسة والعشرين، الذين يشكّلون نصف سكّان المنطقة. وسنرى في سياق الربيع العربي والتغيير الذي أحدثه كيف أنهَت ثورة المعلومات والاتّصالات احتكار السلطات الحاكِمة للمعلومات، التي تُعتبر إحدى دعامات ممارستها السلطوية؛ بمعنى آخر بات إخفاء هذه السلطات الحاكِمة ممارساتها السلطوية والاستبدادية أمراً صعباً جدّاً إن لم يكن مستحيلاً[26]. فكيف حدث تغيير الحاكم والنظام في تونس ومصر وليبيا واليمن؟ وكيف أثّرت في ذلك أدوات تسارع الزمن المتمثّلة بوسائل الاتّصال المذكورة سابقاً؟

أ- الواقع في تونس

مرّت الأقطار العربيّة بموجة ثورة. وإذا كان لها من ميزة، فهي أنّ الحراكات الشعبية هذه جمعت مختلف فئات الشعب العمرية والاجتماعية والمهنية في حركة واحدة. والحقيقة أنّ الشعوب العربيّة أنتجت من وراء معاناتها الطويلة في العقود الأخيرة

(25) مجموعة باحثين، **نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في غربي آسيا**، م. س.، ص 13.

(26) حسنين توفيق إبراهيم، **الاتّجاهات المعاصرة في دراسة النّظم السياسية العربيّة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (23)** (الكويت: مجلس النشر العلمي، 2003)، ص89.

أسلوباً ثورياً جديداً أذهل القيادات العربيّة المحتكِرة للسلطة، سواء أكان النظام ملكياً أم جمهورياً؛ وهي قيادات تُجدّد للبقاء في الحُكم لنفسها أو لأبنائها تلقائياً[27].

كانت تونس بوّابة الحراك الذي عمَّ العالَم العربي، وجسّدت النموذج الأوّل للتغيير الذي انسحب لاحقاً، وبشكل سريع، على عدد من البلدان العربيّة. غير أنّ هذا العدد المحصور من البلدان التي شهدت تغييراً في الحاكِم أو في النّظام لا يعني أنّها حصراً الدول التي شهدت حراكاً شعبياً.

لقد غيّرت الانتفاضات الجماهيرية وجه تونس، وكانت هذه الانتفاضات بمثابة ظاهرة سياسية جديدة تُبشِّر بأنّ مرحلة جديدة بدأت فعلاً في تاريخ العرب المعاصر. وقد قادت التحرّك قوى شبابية ذات ثقافة عصرية تنويرية اعتمدت وسائل اتّصال وتواصل ذات تقنيات عالية[28]. جاء هذا التغيير في تونس بعد أن كان الرئيس التونسي قد تربّع على رئاسة البلاد لأكثر من ثلاثة عقود، فكانت تلك الانطلاقة من تونس المحطّة التي أُعلن من خلالها عن بدء عجلة التغيير، وانتهاء مرحلة استمرار الأنظمة. فالثورات التي اجتاحت البلدان العربيّة بعناوين سياسية واقتصادية واجتماعية تحت شعار التغيير وإسقاط النظام، كانت إعلاناً عن القطع مع النظام السياسي العربي الذي تأسّس بعد الحرب العالمية الثانية. هذا النظام الذي ثبَّت نفسه لعقود عدّة، استطاع أن يجعل نفسه بمنأى عن جملة التغييرات الحاصلة في ظلّ الحرب الباردة ثمّ بعد انهيار جدار برلين وما أحدثه من تغييرات جذرية على المستوى العالمي، إلى أن جاءت الثورات العربيّة فأسقطت أنظمة[29].

ففي تونس، ومع إحراق البوعزيزي نفسه، لعبت قنوات التواصل المختلفة دَوراً في نقل الصورة وتأجيج الناس. فنقل الخليوي صوراً وأشرطة فيديو حرّكت مشاعر قويّة أثَّرت في الساحة العالميّة أيضاً. كما غطّت الفضائيات المتلفَزة ما يزيد على 80 ٪ من

(27) جورج قرم، «دور الإعلام والمثقّفين العرب في تحويل الثورات إلى فتن دينية ومذهبية»، جريدة **السفير** (20 و21/ 10/ 2011).

(28) مسعود ضاهر، «جدلية الداخل والخارج في الانتفاضات العربيّة الراهنة»، مجلّة **معلومات**، العدد 90 (أيار 2011)، ص 115.

(29) حسين صفي الدين، «العلمانية والتغيير في لبنان»، مجلّة **معلومات**، العدد 10 (1994)، ص 122.

الأحداث العربيّة، ما أعطاها تفوّقاً في أحيان كثيرة على الخليوي والإنترنت؛ كما أنّ الفضائيات المؤثّرة عربياً تملك مواقع إلكترونية على الإنترنت، وهنا تجد تكاملاً بين عملهما.

ويشير غسان العزي إلى أنّ الرئيس التونسي بن علي كان فخوراً جدّاً بأنّه نظَّم في تشرين الثاني(نوفمبر) 2005 قمّة عالمية لمجتمع المعلوماتية في تونس العاصمة، وذلك انطلاقاً من غايات ربحيّة. ونتيجة ذلك سيطر على قطاع تكنولوجيا الاتّصال الحديثة في مصر وليبيا وسوريا واليمن وتونس القريبون جدّاً من الرئيس، وبالتحديد أخوته وأولاده وأصهاره. وقد ارتفع عدد مستخدمي الإنترنت والهاتف المحمول في العالَم العربي بطريقة محمومة، وانتشرت مقاهي الإنترنت في المدن وحتّى الأرياف، كما وصلت الفضائيات إلى كلّ بيت ومقهى وساحة عامّة[30].

إنّ سيطرة المقرّبين من الحاكِم على ملكيّة هذه الوسائل لا تعني التحكّم بمضامين قنواتها، بل إنّها تعني تمكّن القيّمين عليها من قطع الاتّصال في ما بينها؛ لكن هل بإمكان أيّ دولة اليوم، وفي ظلّ تسارع الزمن، قطْع الإنترنت، وإيقاف شبكة الهاتف المحمول؟ وفي حال تمكّنت من ذلك، فإلى متى يمكنها أن تستمرّ بهذا القطع؟

إنّ إمساك النظام والحاكِم بإدارة قطاع التكنولوجيا ربحيّاً لا يعني حكماً امتلاكه، ذلك أنّ هذه القنوات باتت خارج إطار الملكية المباشرة، وأصبحت فضاءً عالمياً مفتوحاً يصعب الاستغناء عنه والتحكّم بمضمونه. ومن هنا فإنّ تسارع الزمن أخرج هذه الأدوات من قبضة الحاكِم، لا بل جَعلها وسيلةً للتغيير.

من هنا يمكن فهم الإجراءات التي اتّخذها النظام التونسي في بدايات الحراك، الذي سُمّي بـ«ثورة الياسمين»، لقطع الإنترنت، وإيقاف الهاتف المحمول عن العمل. وقد اعتبر راشد الغنوشي، بحسب ما نُقل عن موقع الجزيرة بتاريخ 11/ 1/ 2011، أنّ موقع فايسبوك هو أحد أبطال هذه الملحمة.

أدّت المواقع الإلكترونية دَوراً مهمّاً في نقل تطوّرات «ثورة الياسمين» في تونس إلى بقيّة الدول العربيّة والإسلامية والعالَم. وقد شهدت شبكة الإنترنت «حرباً إلكترونية» بين

(30) غسّان العزي، «الثورات العربيّة وتكنولوجيا الاتّصالات الحديثة، صحيفة **الخليج** (14/ 2/ 2012).

أنصار الثورة الشعبية وأجهزة النّظام استخدم فيها الطرف الأوّل سلاح ضرب المواقع الرسمية التابعة للحكومة التونسية، فيما لجأ الطرف الثاني إلى كبح حرّية التعبير وملاحقة مدوّنات المعارضين ومواقعهم ورسائلهم الإلكترونية وقرصنتها.

وفي 6 كانون الثاني (يناير)، عمدت السلطات التونسية إلى اعتقال مدوّنين وعدد من مغنّي الراب التونسي على خلفية تعرّضهم للنظام التونسي على صفحات الإنترنت. فتمرّد الصحافيون وقرّروا إدارة العديد من وسائل الإعلام بأنفسهم، وفي المحصّلة، وبعد أيام قليلة على اندلاع الحراك الشعبي في تونس، لعبت وسائل الاتّصال دَوراً أساسياً في تصاعده إلى أن وصل الأمر إلى تغيير الرئيس والنظام معاً بعد أقلّ من شهر، كما لعبت تلك الوسائل الدَّور الرئيسي في نقل المشهد التونسي إلى باقي العالَم العربي.

ب- التجربة في مصر

على الرغّم من أهمّية تونس كدولة عربية انطلقت منها الحراكات الشعبية التغييرية، إلّا أنّ لمصر أهمّية خاصّة نظراً لحجمها ودَورها الريادي عربياً، ولما لها من وزن يمكّنها، إذا ما تبوأت القيادة، من دفْع العالَم العربي نحو الحضور الفاعل على الصعيد العالَمي. فالتغيير في مصر لا يشبه مثيله في أيّ بلد عربي آخر، وتجربة مصر منذ ثورة 1952 وصولاً إلى الربيع العربي أثبتت ذلك.

بعد عقود من اليأس والخيبات العربيّة حصل ما لم يتوقّعه كثيرون. فقد انطلق قطار الثورات من محطّة عربية إلى أخرى، وخرج مئات الآلاف يطالبون بإسقاط النظام. لقد نجحت الثورات وتميّزت بأنّها تجاوزت الأُطر التقليدية للأحزاب السياسية. ومن المعلوم أنّ هذه الأحزاب التاريخية لم تكن هي صاحبة المبادرة إلى التجمّع أو التظاهر، بل التحقت بالشباب الذين استخدموا المدوّنات الإلكترونية في التواصل مع بعضهم البعض، وتمكّن الثوّار من الإطاحة برأس النظام في مصر[31] . سبقت حراك الربيع العربي تحرّكات عدّة شهدتها مصر بدأت مع الانتفاضة الفلسطينية عام 2000، لكنّها انتقلت إلى قضايا الداخل مع حركة كفاية عام 2004، وتدحرجت كرة الثلج الاحتجاجية من مصنع هنا ومصنع هناك، ومن مؤسّسة إلى أخرى، وتراوحت الاحتجاجات العمّالية بين

(31) المحرّر، أسئلة الثورات العربيّة، مجلّة **الغدير**، العدد 55 (صيف 2011)، ص 5- 6.

100 احتجاج في العام 2002 و756 في العام2007، وانتشرت ثقافة الاحتجاج في الشارع المصري وصولاً إلى الإضراب العام في العام 2008 .

إنّ الشباب الذين بادروا إلى الاحتجاج، الذي تحوّل إلى ثورة في مصر، هو جيل متعلّم ومثقّف، يُتقن أكثر من لغة، ويعرف التواصل مع العالَم، وهو جيل الحداثة والتكنولوجيا في ظلّ شيوع استخدام تقنية التواصل اليومي الإلكتروني. وقد قام هؤلاء الشباب بتقليد النموذج العربي في الاحتجاج من خلال تشكيل مجموعات عبر الإنترنت والفيسبوك[32].

في مصر كان سلاح شباب الثورة الهاتف النقّال والمواقع الإلكترونية واللابتوب لأخذ الصورة، ومنها عبر فضاء العالَم للتواصل مع الشباب الآخرين. وشكّلت شبكة الإنترنت قناة اندلاع الثورة، ثمّ شكّل الهاتف الخليوي والتلفاز بصيغته الفضائية عصبها إلى حدّ إطلاق توصيفها بثورة فايسبوك وتويتر. هناك أكثر من 39 مليون مستخدم للإنترنت في العالَم العربي، وليس أدلّ على أهمّية الإنترنت ودوره من محاولات دُول عربية قطْع هذه الشبكة بهدف ضرب الثورة وإنهائها. وفي مصر تحديداً، جاءت الانطلاقة الميدانية لشبكة الإنترنت ودورها في الثورة مع قضيّة الشاب خالد سعيد «بوعزيزي مصر»، كما سُمّي لاحقاً، وكان نشاطه السياسي على الإنترنت هو سبب قتله من قبل رجال الأمن ضرباً بحسب ما أفاد ذووه؛ فانتشرت قصّته على صفحات الإنترنت، واعتصم آلاف الشباب في الإسكندرية والقاهرة، ودُشِّنت صفحة له على فيسبوك دُعي من خلالها إلى الاحتجاج في 25 كانون الثاني (يناير)، واستُخدمت شبكة الإنترنت وموقع فيسبوك وتويتر للدعوة للتظاهر. وفي 25 كانون الثاني (يناير)، بدأت التظاهرة التي أُطلق عليها ذلك اليوم اسم يوم الغضب. وفي اليوم التالي لجأت السلطات المصرية إلى فرض قيود على الإنترنت، وحجب مواقع التواصل الاجتماعي من أجل الحدّ من المتظاهرين المطالبين بالتغيير. وتأزّمت الأوضاع إلى أن جاء يوم 10 شباط، يوم الدعوة المليونية. فاحتشد أكثر من مليون شخص في ميدان التحرير في القاهرة للمطالبة برحيل الرئيس المصري مع احتجاجات في بقيّة المدن، وانتشرت الرسائل الإلكترونية عبر الهواتف النقّالة والمواقع الإلكترونية.

(32) طلال عتريسي، «الثورات العربيّة: بين الطموح والتغيير ومخاطر الاحتواء»، صحيفة **السفير** (2011/3/8).

وإذا كان الهاتف الخليوي وشبكة الإنترنت قد شكّلا وسيلة التواصل لإطلاق الثورة، فإنّ قنوات التلفاز الفضائية كان لها الفضل الكبير في نقل صورة الأحداث بشكل مباشر[33]. ونظراً لأهمّية هذه الوسائل ودورها، عمدت السلطات المصرية إلى قطع الإنترنت حيناً، ومنع بعض القنوات الفضائية أحياناً، لكنّ ذلك لم يُجدِ نفعاً في ظلّ انفتاح العالَم وتعدّد قنوات التواصل وتشعّبها. وعلى وقع دور هذه الوسائل، سار الحراك الشعبي في مصر إلى أن تمكّن المصريون من إسقاط الرئيس، الذي بسقوطه انهار الحزب السياسي الممسِك بزمام السلطة. سقط النظام السياسي القائم، فشكّل هذا النموذج تجربة جليّة عن تأثير تسارع الزمن على إسقاط الحاكِم ونظام الحُكم. فنظام حسني مبارك في مصر سقط بعد اندلاع الثورة بـ 18 يوماً فقط (من 25 يناير إلى 11 فبراير 2011).

ج- الواقع في ليبيا

تُعتبر ليبيا نموذجاً للدولة العربيّة التي عرفت أطول فترة حُكم استمرّ فيها رئيس البلاد لأكثر من أربعين سنة متتالية، كما تميّزت ليبيا بهشاشة بُنية نظامها السياسي. ولئن كانت تونس ومصر قد شهدتا سقوطاً للنظام السياسي والحزب الحاكِم ومؤسّسات الدولة، فإنّ المؤسّسة العسكرية هي التي ضبطت إيقاع التغيير.

ونظراً للدَّور الفاعل للإنترنت في تحريك الشارع الليبي، عمدت السلطات الليبية إلى قطع خدمة الإنترنت في العديد من أحياء العاصمة[34]. وكان للفضائيات دَور أساسي في نقل المشهد التونسي والمصري إلى المشهد الليبي، وهو ما أسهم بالاندفاع الشعبي الليبي نحو التغيير بعد فرض نظام الحُكم نفسه ونمطه لعشرات السنوات: فكانت مرحلة الربيع العربي محطّة أساسية بالنسبة إلى ليبيا لجهة تغيير الحاكِم والنّظام. لكنْ، لئن شهدت كلٌّ من تونس ومصر استقراراً بعد التغيير، فإنّ ليبيا جنحت نحو النزاع المسلّح وغياب السلطة الفاعلة والحاكِمة.

د- الواقع اليَمَني

تتميّز اليمن بأنّها دولة خليجية، وتتميّز خليجياً بأنّها الدولة التي تحوّلت من النّظام

(33) علي شكر، «دَور وسائل الاتّصال في الثورات العربيّة»، مجلة **الغدير**، العدد 55 ، م.س.
(34) المحرّر، خبر ورد في صحيفة **الخليج** الإماراتيّة، (24/ 2/ 2011).

الملكيّ إلى النّظام الجمهوريّ في ظلّ بيئة خليجية تحكمها أنماط السلطة الملكية الوراثية عموماً. وعلى الرّغم من ذلك، لم تكن اليمن تختلف واقعياً عن حال الأنظمة الملكية المحيطة بها. فالرئيس اليمني قبل الإطاحة به كان يسعى لتوريث ابنه السلطة بعد أن قضى هو نحو ثلاثين سنة على رأس السلطة.

وكما تونس ومصر وليبيا، كان لوسائل الاتّصال الحديثة الدَّور الفعلي في تحريك الداخل اليَمنيّ، ولعبت وسائل الإنترنت والهاتف الخليوي والفضائيّات الدَّور المحوريّ في إحداث التغيير.

خاتمة

يتبيّن معنا من خلال النماذج الأربعة التي وردت في الدراسة كيف أثّر تسارع الزمن من خلال وسائل الاتّصال الحديثة، وبالتحديد (الفضائيات والهاتف الخليوي والإنترنت) في إحداث التغيير، وكيف أدّى ذلك إلى إسقاط الحاكِم والنّظام على السواء.

فالثبات في نظام الحُكم واستمراريّة الحاكِم هي من الأمور التي لم تَعُد مسلّمات يصعب التفكير بتغييرها، وانتهت حالة اليأس من التغيير التي سيطرت على المنطقة العربيّة. وعلى الرّغم من بقاء معظم الأنظمة العربيّة وبقاء حكّامها، غير أنّ ذلك لا يعني أنّها بمنأى عن التغيير، أو أنّ تسارع الزمن لم يؤثّر فيها. وطالما أنّ التغيير طال أعتى الأنظمة العربيّة وأكبرها، فإنّ باقي الأنظمة العربيّة معرّضة للتغيير في أيّ وقت. وإذا كانت تجربة الربيع العربي قد عمَّت المنطقة العربيّة فقط، فهذا لا يعني أنّ ظاهرة تسارع الزمن وأثره في التغيير محصورة هنا، بل على العكس فإنّ هذا التأثير تأخّر نسبياً حتّى وصل إلينا. واليوم يمكننا القول إنّ مسألة تأثير تسارع الزمن على تغيير الحاكِم والنّظام السياسي صارت أمراً متاحاً ليس على المستوى العربي فقط، بل على مستوى العالَم.

قائمة المراجع

- إبراهيم، حسنين توفيق. **الاتّجاهات المعاصرة في دراسة النظم السياسية العربيّة،** حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (23). الكويت: مجلس النشر العلمي، 2003.

- أبو زكي، نضال. «الثورة المعلوماتيّة وتأثيرها في الاقتصاديّات العربيّة في القرن المقبل»، صحيفة **الحياة** (8/ 5/ 1999).
- أمين، جلال، «أشباه الأخبار»، صحيفة **الشروق** (القاهرة: 27/ 7/ 2012).
- بادي، برتران؛ وفيدال، دومينيك (إشراف). **أوضاع العالم 2014، جبابرة الأمس والغد**. بيروت: مؤسّسة الفكر العربي، 2014.
- بعاصيري، سحر. «نوع جديد من الصحافة اسمه المدوّنات»، صحيفة **النهار** (10/ 1/ 2009).
- بلقزيز، عبد الإله. **العرب والإعلام الفضائي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2004.
- بمبر، بروس. **الاتّصالات والمجتمع والسياسة الديمقراطية الأميركية وثورة المعلومات التكنولوجية في جذور القوى السياسية**. تعريب هالة النابلسي. بيروت: دار الحوار الثقافي، 2006.
- جاسم، أنمار لطيف. **العالمية الجديدة: المرجعية، الأهداف والوسائل**. بيروت: المكتبة الثقافية، 2002.
- رحومة، علي محمد. **الإنترنت والمنظومة التكنو - اجتماعيّة، بحث تحليلي في الآلية التقنيّة للإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعيّة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2005.
- سرحال، أحمد. **النّظم السياسيّة والدستوريّة في لبنان والدول العربيّة**. بيروت: دار الفكر العربي، 1990.
- سلمان، طلال. «انتفاضات شعبية ولا برامج: الطغيان يعيد الاستعمار»، صحيفة **السفير** (بيروت: 6/ 4/ 2011).
- شعبان، عبد الحسين. «العَولمة والإعلام العربيّ في الألفيّة الثالثة»، صحيفة **النهار**(بيروت: 21/ 10/ 1999).
- شكر، علي. «دور وسائل الاتّصال في الثورات العربيّة»، مجلّة **الغدير**، العدد 55، مركز الدراسات والتوثيق، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى(صيف 2011).

- صبح، علي. **العلاقات الدولية (الصراع الدولي في نصف قرن 1945– 1995)**. ط2. بيروت: دار المنهل اللبناني، 2006.
- الصديقي، سعيد. **الدولة في عالم متغيّر: الدولة الوطنية والتحدّيات العالمية الجديدة**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2008.
- صفي الدين، حسين. «العلمانية والتغيير في لبنان»، مجلّة **معلومات**، العدد 10، المركز العربي للمعلومات (بيروت:1994).
- ضاهر، مسعود. «جدلية الداخل والخارج في الانتفاضات العربيّة الراهنة»، مجلّة **معلومات**، العدد 90، المركز العربي للمعلومات (بيروت: أيار 2011).
- عبد الحيّ، وليد. **مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2007.
- عتريسي، طلال. «الثورات العربيّة: بين الطموح والتغيير ومخاطر الاحتواء»، صحيفة **السفير** (بيروت: 8/ 3/ 2011).
- العزي، عبد الرحمن. **دراسة في نظرية الاتّصال**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2003.
- العزي، غسان. «الثورات العربيّة وتكنولوجيا الاتّصالات الحديثة»، صحيفة **الخليج** (الإمارات: 14/ 2/ 2012).
- قرم، جورج. «دور الإعلام والمثقّفين العرب في تحويل الثورات إلى فتن دينية ومذهبية»، صحيفة **السفير** (بيروت: 20 و21/ 10/ 2011).
- مجموعة باحثين. **الأمان الفضائي السيبراني ومكافحة الجرائم السيبرانية في المنطقة العربيّة: توصيات سياساتيّة**. الإسكوا، 2015.
- مجموعة باحثين. **الملامح الإقليمية لمجتمع المعلومات في غربي آسيا** (الإسكوا، 2011)
- مجموعة باحثين. **حوكمة الإنترنت، تحدّيات وفرص البلدان الأعضاء في الإسكوا** (منشورات الإسكوا، 2009).
- مجموعة باحثين. **نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات للتنمية في غربي آسيا**. العدد 16 الإسكوا (حزيران2011).

- المحرّر، «أسئلة الثورات العربيّة»، مجلّة **الغدير**، العدد 55، مركز الدراسات والتوثيق، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى (صيف 2011).
- المحرّر، خبر ورد في صحيفة **الخليج** (الإمارات: 24/ 2/ 2011).
- E. Long David and Koch Christan, *Gulf Security in the Twenty–First Century*.The Emirate Center For Strategic Studies and Reaserch: Abu Dhabi, 1997.
- *World Development book case study*: *the role of social networking in the Arab Spring*, https: / /newint.org /books /reference /world–development /case–studies /social–networking–in–the–arab–spring